وإن أحسن الحسن في الإنفاق - الذي ينفي اتباعه بالمن والأذى - هو اتباعه بقول معروف وحسنة مثلها أم تربوها، فـ«ما من شيءٍ أحب إلي من رجل سلفت مني إليه يد اتبعتها أختها وأحسنت ربها لأني رأيت منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل»[(١)].

ثم وهؤلاء الأكارم الذين لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى، هم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ السبعمائة ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ دون سواهم، سواءٌ أجروا قليلاً أم لم يؤجروا أم عذبوا بما أثموا، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من فقر هنا، أم تساءل أو عذاب في الأخرى أم عدم الوفاء فيها، أم عداء من المنفق عليه إذ كثّره وما كسره، رفعه وما وضعه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما أنفقوا، إذ هم حصلوا على مئات أضعافه وأفضلها ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[(٢)].

إن الصدقة التي ترافقها أم تتبعها أذى من منٍّ وسواه، لا شك أن تركها أولى منها وأحجى، وحين لا تجد ما تنفق، أو تجد وتبخل إلا بمن أو أذى فـ:

﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾:

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ لدى السائل والمحروم، بديلاً عن صدقة منكرة أو نحرٍ على المحاويج.

﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ وهذا تنازل ومسايرة في التفضيل، حيث يرى المنفِق الذي يمن ويؤذي أن عمله فضيل، فحتى لو كان فضيلاً فـ﴿قَوْلٌ

(١) نور الثقلين ١: ٢٨٤ عن تفسير القمي ثم ضرب الله فيه مثلاً فقال: . . . ما من شيء. . .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ ثم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن هكذا إنفاق «حليم» عمن لا ينفق على وُجده بقول معروف ومغفرة.

فقد يكون عندك وُجد فيه سؤول المحاويج فإن تبخل وتقول قولاً معروفاً ومغفرة فهو خير من إنفاقك على منٍّ أو أذى ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.

أم ليس عندك الوفاء إذ لا وُجد أم فيه مورد أهم من الإنفاق، فكذلك الأمر «والله حليم» يحلم عمن هو معذور شرط ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾.

أم عندك وُجد في مالك وحالك، تنفق دون مَنٍّ ولا أذى، فلتتبعه بـ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ «قول» يُعرف صالحه في الصالحين، حيث يجبر كسر المعدمين، وهنا «مغفرة» من المنفق عليه، أن تستغفره استقلالاً لإنفاقك.

فـ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ ضابطة سارية المفعول عند كل سائل أو محروم، تصدقت عليه أم لا، معذوراً أم لا، فإن ذلك القول هو صدقة على أية حال، يجبر كسر الفقير وتخجّله عندك.

قد يروى عن رسول الهدى ﷺ قوله: «إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ثم ردّوا عليه بوقار ولين، إما ببذل يسير أو ردّ جميل فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى»[١].

ثم و﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أفضل صدقة على أية حال، في سؤال معيشي أم روحي أما ذا، فـ«ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى أو يردّه عن ردي»[٢].

---

(١) مجمع البيان حول الآية وقد روي عن النبي ﷺ: . . .

(٢) الدر المنثور ١: ٣٢٨ - أخرج المرهبي في فضل العلم والبيهقي في الشعب عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: . . .

«ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر»[١] «نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم»[٢].

هذه «صدقة» بطليقتها في طلاقتها أينما حصلت في سؤال وسواه، فإنها أدب إسلامي سامي.

ثم «ومغفرة» تطلب الغفر من المحاويج حين لا تجد طلبتهم أم عندك قَلٌّ لا يكفيهم، أن يغفروا لك قلته ويستغفروا لك الله، ونفس القول المعروف يخلف مغفرة من الله ومنّه.

و«مغفرة» تطلبها من الله لإخوانك المؤمنين على أية حال، فإنها خير صدقة، فحتى إذا نالك فقير ببذاء وإيذاء في فعل أو كلام، فـ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ إجابة عن غير معروف ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أن تغفره وتستغفر له ربك، إجابة عما قد يلعنك، لأن الفقير كسير قد يحمله على ردة فعل سوء حين لا يجد عندك سؤاله، فـ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾[٣].

فبصيغة واحدة ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ فإن هذه الصدقة فيها خير المال وشر الحال، وأما ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ فيه خير ذو بعدين بعيدين عن كل شر، ولا شك أن محض الخير خير من خليطه بشر.

ولئن ابتليتم بصدقة يتبعها أذى فـ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ يزيل تلك الأذى ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ اعتذاراً من الفقير واستغفاراً من الله ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن صدقاتكم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن عقوباتكم حين التورط في ورطة الصدقة المؤذية إذا لحقها ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾.

---

(١) الدر المنثور ١: ٢٢٨ - أخرج الطبراني عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ: . . .

(٢) المصدر أخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ . . . .

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٦.

فذلك تقرير قرير إن كلمة طيبة تضمد جراح القلوب، وتفعمها بالبشاشة والرضى، ومغفرة تغسل أحقاد النفوس وتحل محلها الإخاء والصداقة، هما خير في أنفسهما وخير من صدقة تتبعها أذى والله غني حليم.

وليس فحسب أنهما خير من صدقة تتبعها أذىً، مما يخيِّل إلينا أن خير هذه الصدقة أقل، بل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾:

مثال ماثل بين أعيننا للصدقة القاحلة الباطلة، يتبعه مثال للتي تُبتغى فيها مرضات الله، صفتان متقابلتان بفاصل مرضات الله وغيرها، بجامع الإنفاق، مهما كان في الضفة الثانية أكثر وفي الأولى أقل، فـ«إنما الأعمال بالنيات».

فـ«المن والأذى ورياء الناس وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر» كل هذه الأربعة هي ردف بعض إنها سبيل الشيطان مهما اختلفت دركاته، في ثالوث الفسق والفاحشة والكفر، كما أن سواها سبيل الله مهما اختلفت درجاته تركاً لذلك الثالوث.

وإبطال الصدقات بالمن والأذى يعم ما إذا صاحباها أم تأخرا عنها، وكما اختص النص السابق بالثاني ﴿ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗىۙ﴾.

وقيلة المتمحل أن الصدقة الصالحة لا تبطل بعد واقعها، فإنما الباطل هو ثوابها، مردودة عليه بالنص ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ وأن الثواب لمّا يأت حتى يبطل، ثم الثواب الآتي هو نفس الصالحة الماضية بظهور ملكوتها، فلتبطل هي من الآن حتى لا تظهر بمظهر الحق بعد الآن.

ولأن الإحباط بالنسبة للأعمال السابقة يعني إحباط الصورة الموجودة

منها، التي تتحول إلى الثواب أو العقاب، دون نفس الأعمال السابقة أو الجزاء اللاحق، فليس الإحباط - إذاً - من المحال حتى يقال عليه ما يقال: إن إحباط ما مضى في واقعه محال!.

وأما آية المثقال ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[1] فمخصصة بآيات الإحباط، فالخير المحبط بما أحبطه لا يرى، كما الشر المكفر بما أزاله لا يرى، فإنما يرى كل خير وشر باق إلى يوم الحشر، وقد يرى خيراً لم يعمله حيث أوتي بنية، أم شراً لم يعمله حيث رضيه من فاعله، أم لا يرى خيراً عمله حيث أحبط بما يحبطه، أم لا يرى شراً عمله حيث كفره بما يكفره!.

و«المن» هنا طليقة تشمل المنّ على الله وهو في حدّ الكفر بالله، والمنّ على عباد الله وهو كفران لمنن الله، ثم «الأذى» تخص المعطَون من نعم الله، أذى في حال أم قال وأعمال.

ولأن المنّ والأذى دركات، كذلك الإبطال دركات.

﴿لَا تُبْطِلُوا۟ . . . كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ . . .﴾ فهو لا يستشعر نداوة الإيمان وبشاشته، بقلب صلب صلد مغشىً بالرياء، فإنفاقه - إذاً - ليس في سبيل الله، بل في سبيل الناس، وكأنه تأليه للناس بديلاً عن الله، لولا رياء الناس لم يكن لينفق ماله، ولكنه يرمي بريائيه هدفين اثنين، ظاهر كأنه لله، وباطن أنه للناس.

﴿. . . يُنفِقُ . . . وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ فإن الإيمان قيد الفتك، وأي فتك أفتك من رياء الناس، فمهما كان ذلك المنفق مؤمناً بالله واليوم الآخر، ولكنه قشر لا لبُّ له، فإن لب الإيمان يلبي دعوة الرحمن، دون تلبية لمن سواه.

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

﴿. . . فَمَثَلُهُ﴾ في إنفاقه النفاق، الحابط في حساب الله ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ. . .﴾ ويا له من مثل هو الأمثل في ذلك الإنفاق الحابط الخابط ﴿صَفْوَانٍ﴾: حجر صلب صَلد كما يفسره ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ فهو الحجر الصافي القاحل الذي لا ينبت عليه أي نابت مهما حمله تراباً ظاهراً طفيفاً، حيث التراب ينبت إذا أصابه وابل، ولكنه ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ كما هو في أصله، مهما تستر بتراب كأنه ينبت ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١) (٢).

فقد مُثل المنفق مناً وأذىً أو رياء الناس بمَثَل الكافر، الحابط عمله أياً كان، فهذا المنفق ليس إنفاقه الخاوي الاكتراب على صفوان، لا ينفع لإنبات، بل ويزول بوابل يستأصله عن بكرته، من وابل الحساب في الأخرى، بوابل المن والأذى والرياء في الأولى.

كذلك الإنفاق في غير سبيل الله، لا يستقر على قلب المنفق الصفوان، كالحجر الصلد، مهما ستره بغبار الإنفاق، فلا يثمر كما ينفق في سبيل الله سبعمائة ضعفاً، ولا يبقى على ضعفه دون ضِعف، وإنما يحبط في وابل، وكذلك وابل الحساب، النازل على قلوب العاملين، بوابل النية القاحلة في الإنفاق.

وهكذا ينكشف القلب الصلد الخاوي عن واقع الإيمان يوم الحساب، انكشاف الصفوان الصلد عن ظاهر التراب، فلم يثمر خيراً ولم يعقب مثوبة،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٢) نور الثقلين ١: ٢٨٤ في تفسير القمي في الآية وقال: من كثر امتنانه وأذاه من يتصدق عليه بطلت صدقته كما يبطل التراب الذي يكون على الصفوان والصفوان الصخرة الكبيرة التي تكون في مفازة فيجيء المطر فيغسل التراب عنها ويذهب به فضرب الله هذا المثل لمن اصطنع معروفاً ثم أتبعه بالمن والأذى. . .

اللهم إلا عقوبة لكفره: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: كفراً أو كفراناً، عقيدياً أو عملياً، فقد شمل الكفر هنا الإنفاق مناً أو أذىً ورياءَ الناس، من هؤلاء الذين يقولون آمنا وما هم بمؤمنين حقه!، فليس ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾ بل ويعاقَبون بكفرهم وترك الإنفاق الصالح، ظلمات بعضها فوق بعض!.

فتلك هي الضفة الكافرة بمثلها الصفوان، فإلى الضفة المؤمنة الآن:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾:

هناك ﴿صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ﴾ تمثيلاً لإنفاقه بتراب خفيف طفيف على صلد الصفوان، وهنا ﴿جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ﴾ مثلاً لصالح الإنفاق الرابي، المضاعف في أجره، فإن ﴿أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ﴾ حيث الوابل من طبعه إفادة بإضرار، وإضرار بإفادة، فلأن ذلك الإنفاق مرتكن على ركن ركين فلا يتركه الوابل صلداً، بل ﴿فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ﴾.

وعلّه إشارة إلى سائر الإصابات التي تنحو منحى ذلك الإنفاق، من سيئات الأعمال اللاحقة له، فليست لتزيله، بل هو - لأقل تقدير - ﴿فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ﴾.

إذاً فـ﴿فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ﴾ تعني طلُّ الرطوبة النافعة غير الضارة ﴿فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ كما يحق.

أم ويعني إصابة الوابل خيراً دون ضرٍّ ولا شر، إذاً فـ﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾ تعني المضاعفة المحلقة على كل المضاعفات في الإنفاق، ابتداءً من «سبعمائة ضعف» ثم «الله يضاعف من يشاء».

إذاً ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ تعني أقل الفائدة وهو ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أو أن الإنفاق أصيب بغير ما يبطله، من سيئات تتلوه.

ثم ترى تلك هي سبيل الله: ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ فما هو - بعدُ - ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؟ إنه لا بدّ وأن يكون على هامش سبيل الله، طرداً للمنّ والأذى ورياء الناس.

فمنه تثبيت أنفسهم على صالح النية حين أنفقوا في سبيل الله، كيلا ﴿يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ فقد ينفق في سبيل الله ابتغاء مرضات الله ثم يتبعه مناً أو أذىً أو رياءً، فليس - إذاً - مثلهم كجنة، بل هو ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾.

ومنه تثبيت أنفسهم حين الإنفاق وبعده على صادق الإيمان، وواقع وعد الله، فلا تنهبُّ بمهبات الأهواء والتخيلات الباطلة القاحلة.

ومنه تثبيتها على ما هي عليه من الطمأنينة، فلا يُتهاجم عليها في ثوارت المحاويج، ولا يخلد بخلدهم تقصير في جنبهم عن شرعة الله، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بعد ما أنفقوا إيماناً دون نفاق، وبكل تبجيل واحترام، ودون أي تخجيل واختزام، إزاحة لفقر الفقراء مالياً، وإضافة لخاطرهم الكسير كثيراً من الحرمة بقول معروف ومغفرة.

وقد تعني ﴿أَنفُسِهِمْ﴾ مثلثها، تثبيتاً من أنفس المنفقين والمنفق عليهم، ومن أنفس مجتمع الإنفاق خروجاً عن كل تزعزع وتلكع، وذلك التثبيت المثلث هو نتيجة الإنفاقات الصالحة دون من ولا أذى ولا رياء الناس، ودونما أية غاية إلا مرضات الله، فكل ذلك متكتل في ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ فإن كلاً ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

قلب عامر بتقوى الله، ندي ببشارة الله، ينفق ماله «ابتغاء مرضات الله

وتثبيتاً لأنفسهم» إنفاقاً بثقة وإيمان واطمئنان، ﴿تَثْبِيتًا﴾ لهم حاصلاً ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ واصلاً إلى أنفسهم في عاجل الإنفاق وآجله.

وحقيق له أن يمثّل بـ﴿جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ...﴾ حيث المؤمن كله جنة، وهو دوماً ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ يرتفع بابتغاء مرضات الله ولا يترفع، ويصيبه وابل الرحمة المستزيدة لجنته، أم ولأقل تقدير ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ درجات من واصل الماء حسب قابليات الجنات ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هل يستحق لمضاعفته وابلاً أو طلّاً؟

فجنات المؤمن بربوة هي بين وابل وطل وبينهما متوسطات، والطل هو قلٌّ فإنه رذاذ من الرطوبة يكفي التربة الخصبة تنمية لبذورها مهما كانت قليلة.

والوابل هو المطر الغزير الكثير، الذي يروّي الجنة كما تصلح وتصلحها لأعلى قمم الربوة النماء.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾:

مثلٌ ينبه الذين ينفقون أموالهم في غير مرضات الله، إن المن والأذى ورياء الناس هي إعصارٌ فيه نار تحرق جنة الإنفاق مهما كثرت وازدهرت بكل الثمرات، فهذا المنفق يصبح يوم فقره وعيلته صفر اليد عن كل ما أنفق، و﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

و﴿جَنَّةٌ...﴾ يمثل واقع الإنفاق لو خلي وطبعه، ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ يمثّل فقدان القوة حيث لا يقدر على شيءٍ بعدُ استمراراً لعيشته، وهو مثالٌ لما بعد الموت ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ مثال لفقدان أي نصير في انقطاع

الأسباب، فلم تبق له إلا جنته هذه التي حصل عليها في قوته وشبابه ولكنها أيضاً ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ تلك الجنة فما ترى له من باقية، إلا باغية طاغية!

والإعصار ريح ترتفع مستديرة في السماء كأنها عمود، المسماة بالزوبعة، فهي من شدة إعصارها تولد ناراً تحرق ما أصابته.

وهكذا ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1] - ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[2].

فالصدقة التي هي في نفسها كجنة ظليلة وارفة مثمرة، تصبح في غير وجه الله ناراً محرقة، وإلى خطوة أخرى في شاكلة الصدقة من حيث المادة، بعد شاكلتها في النية والطوية، وحتى المواجهة مع الفقراء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾:

﴿طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ تعم كافة المكاسب المحللة دون إبقاء، كما ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ تعم كل نابتات الأرض وسواها من نباتات ومعادن فوق الأرضية وتحت الأرضية، وبصيغة عامة كل خارج من الأرض ما يُتموَّل دون إبقاءٍ.

فـ﴿مَا كَسَبْتُمْ...﴾ تعني كل ما سعيت في الحصول عليه بتجارة أو إجارة أو عمالة أماهية، و﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا﴾ كل حاصل دون سعي كالأرض وما فيها وما عليها، مهما سعيت في إخراجه منها، فإن أصله حاصل دون سعي.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٧.